برنامج

"الحج عبادة وسلوك".

لفضيلة الشيخ

www.almosleh.com

((الحلقة الخامسة)).

في هذه الحلقة إن شاء الله تعالى سنتكلم عن "الحج رحمة"، سيكون الحديث عن أوجه الرحمة في هذه العبادة، الحج فريضة من فرائض الإسلام، والإسلام دين رب العالمين، دين أرحم الراحمين، الذي جعل رسالة النبيﷺ موصوفة بالرحمة، فقال:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(١).

فالإسلام بكل ما فيه من شعائر، بكل ما فيه من عبادات، بكل ما فيه من أحكام، بكل ما فيه من واجبات، بكل ما فيه من فرائض كله رحمة، يبصر ذلك ويدركه من فتح الله بصيرته وأدرك ما في هذه العبادة الجليلة من أوجه البر والإحسان.

إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة يتراحم بها الناس، بل رحمة واحدة بين الإنس والجن والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على بلدها، وادخر جل في علاه وهو أرحم الراحمين، تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عبادة يوم القيامة.

من هذه الرحمة ما كان في تشريعه، فهذا الحج بمشاعره، وشعائره وأحكامه وشرائعه هو رحمة من اللهﷻ، يبدو ذلك في الغاية من الحج، فالحج به تحط السيئات وتكفر الخطايا والسيئات.

«فمن حج فلم يرفث و لم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»(٢).

يا الله ما أعظم إحسانك وعطاءك وبرك، ونوالك، نسألك يا رب العالمين، ألا تحرمنا فضلك.

رحمة لا يحدها وصف، ولا يبينها لسان، إنها رحمة أرحم الراحمين الذي جعل هذه العبادة حطًا لتلك الجبال من الخطايا والسيئات.

---

(١) سورة الأنبياء:١٠٧.

(٢) تقدم تخريجه.

تلك الجبال من الأوزار تتلاشى وتتبدد وتذهب إذا أحسن العبد في حجه، فحج قاصداً اللهﷻ فلم يرفث و لم يفسق.

«من حج فلم يرفث و لم يفسق رجع كيوم ولدته أمه».

عطاء عظيم، إنه وجه من أوجه الرحمة التي في هذه العبادة العظيمة.

أضف إلى هذا وجهاً آخر من أوجه الرحمة أن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، كما قال النبيﷺ «والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»(١).

هذا وجه آخر من أوجه الرحمة.

ومن أوجه الرحمة أن الله تعالى لم يفرض الحج إلا على المستطيع، فقد قال الله جل وعلا: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾(٢).

من أوجه الرحمة أن الله فرض الحج مرة في العمر، كما قال النبيﷺ :«يا أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟، فسكت النبيﷺ، فأعاد عليه فسكت النبيﷺ، فأعاد عليه فقال النبيﷺ:«لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم»(٣).

فمن رحمته جل في علاه أن فرض الحج على عباده في العمر مرة واحدة.

ومن أوجه الرحمة في هذه العبادة أن الأجر فيها على قدر المشقة والنصب، فما بذله الإنسان لا يذهب هباءً، قال ﷺ:«أجرك على قدر نفقتك ونصبك»(٤).

فكل درهم أو فلس أو قرش تدفعه، فالله سيجزيك عليه عطاء عظيماً، ويرتفع به ثوابك، ويعلو به مقامك.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) سورة آل عمران:٩٧.

(٣) أخرجه مسلم(١٣٣٧).

(٤) أخرجه البخاري(١٧٨٧)، ومسلم(١٢١١).

كما أن التعب الذي يدركه الحاج في تنقلاته، سواء كان تعباً بدنياً أو تعباً نفسياً، كل ذلك مما يؤجر عليه عند اللهﷻ، ويعظم به أجره.

الحج رحمة لما فيه من السعة والرخصة، فقد قال النبيﷺ «فمن لم يجد النعلين فليلبس الخفين، ومن لم يجد الإزار فليلبس السراويلات»[١].

كل ذلك رحمة من اللهﷻ بعباده.

الحج رحمة في اجتماعه، وأفعاله فإن المؤمنين يتراحمون، ولذلك قال النبيﷺ في الرمي: «يا أيها الناس إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو»[٢].

والغلو في التزاحم، والغلو في الرمي بأكثر مما أُمر به الإنسان.

والغلو في أن يتكلف الإنسان عموماً ما لم يشرعه الله تعالى له.

الرحمة بادية في كل صفات هذا العمل، وفي هذه العبادة، ولذلك كان النبيﷺ لا يسأل عن شيء في الحج إلا ويقول: «افعل ولا حرج»[٣].

رحمة بالعباد ورفقاً بهم، فما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه.

إننا بحاجة إلى أن نذكر أنفسنا بأن هذا الدين دين رحمة، وأن النبيﷺ نبي الرحمة، فقد قال النبيﷺ مذكراً بأوصافه: «أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة»[٤].

فهو الرحمة المهداة لجميع العالمين، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين.

إن الحاج ينبغي أن يتذكر أن اللهﷻ يرحمه بما يقوم في قلبه من رحمة العباد، ورفقه بهم، وحنوِّه عليهم، وعطفه عليهم.

---

(١) أخرجه البخاري(١٣٤)، ومسلم(١١٧٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري(٨٣)، ومسلم(١٣٠٦).

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٥٥).

فقد قال النبيﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء»(١).

والرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله.

وقد قال النبيﷺ فيما رواه البخاري من حديث جرير بن عبد الله، «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»(٢).

رحمة العبد للخلق مما يدرك بها وينال بها رحمة الله تعالى التي من آثارها خيرات الدنيا، ومن آثارها خيرات الآخرة.

ومن فقدها فقد قطع أكبر أسباب نوال الرحمة، فالقلوب الخالية من الرحمة لا تنال الرحمة، وينقطع الحبل بينها وبين خير الدنيا وخير الآخرة.

إن رحمة الله قريب من المحسنين، فلنحسن في حجنا، وفي أعمالنا، لنحسن لأنفسنا باتباع النبيﷺ وتحقيق التوحيد للهﷻ، ولنحسن إلى المسلمين بإيصال كل بر وإيصال كل خير إلى الناس، فإن الله تعالى يحب المحسنين، ويحب الراحمين، ومن لا يَرحم لا يُرحم كما قال النبيﷺ.

إننا بحاجة إلى أن نؤثر على أنفسنا، وأن نأتي إلى الناس الذي نحب أن يعاملونا به، فإن هذا من أوجه الرحمة أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به.

فقد قال النبيﷺ :«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(٣).

فأنا أندب إخواني الحجاج إلى أن يحسنوا في معاملتهم إلى الناس، كل معاملة، كل تصرف، تحب أن يعاملك الناس به فعامل به غيرك.

فقد قال النبيﷺ كما في حديث عبد الله بن عمرو: «من أحب أن يدخل الجنة ويزحزح عن النار؛ فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر»، هذا فيما يتعلق

---

(١) أخرجه الترمذي(١٩٢٤).

(٢) أخرجه البخاري(٧٣٧٦)، ومسلم(٢٣١٩).

(٣) أخرجه البخاري(١٣).

بصلته باللهﷻ: «وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى»[١]، وهذا فيما يتعلق بمعاملة للخلق.

الحج من الأعمال المباركة التي تزكو بها الأخلاق، وإذا زكت الأخلاق واكتملت تلك الأخلاق على الوجه الذي يرضي اللهﷻ بدت فيها سمات الرحمة، فإذا تخلق المؤمن بخلق النبيﷺ الذي كان يوصي أصحابه بالسكينة فيقول: «ليس البر بالإيضاع، السكينة السكينة، ليس البر بالإيضاع»[٢]، كان ذلك من دواعي اتصافه بالرحمة تجده يرحم الفقير، بإعطائه ما يسد حاجته، ويرحم الضعيف بإعانته، وحمله متاعه ومساعدته لبلوغ غايته، يرحم الجائع بإطعامه، يرحم المستغيث بإغاثته، يرحم الضعيف بعدم مزاحمته والإفساح له، وهلم جرّاً من أوجه الرحمة التي نحن في حاجة إليها.

وقد يبلغ العبد بالرحمة مبلغاً لا يتخيله.

أتعلمون أن رجلاً دخل الجنة في غصن أماطه عن طريق المسلمين، قال: «لا يؤذي المسلمين، فشكر الله له، فغفر له، وادخله الجنة[٣].

أتعلمون أن امرأة من بني إسرائيل بغي تتجر بعرضها وشرفها، تزني وتأخذ على الزنا أجراً، سقت كلباً رحمة به، فرحمها الله تعالى وغفر لها ما كان من بغيها[٤].

إننا بحاجة إلى إبراز هذه المعاني المهمة التي هي في الحقيقة جوهر الدين، وهي مقصوده: أن تعمر القلوب بالسكينة، أن تعمر القلوب بالرحمة، أن تعمر القلوب بالخير ومحبته للناس، أن يلتزم الإنسان ما استطاع من دين اللهﷻ ظاهراً وباطناً.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري(٦٥٢)، ومسلم(١٩١٤).

(٤) أخرجه البخاري(٣٤٦٧)، ومسلم(٢٢٤٥).